أول من أمر بجمع الحديث

الخليفة عمر بن عبد العزيز ، حيث لم يدون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه من ساعته خشية أن يختلط على عامة المسلمين بالقرآن ، فلما توفى عليه الصلاة والسلام لم يكن شئ من كلامه مكتوباً ، لذلك صرف الصحابة همهم إلى نشره بطريقة الرواية أو بنفس الألفاظ التى سمعوها منه ، أو بما يؤدى معناها كل ذلك مع تحرى الصدق فيما ينقلون ، ولم يزل كذلك أمر الحديث فى عصر الصحابة وأول عصر التابعين ، حتى تولى عمر بن عبدالعزيز الخلافة فكتب إلى أبى بكر بن حزم ، وكان نائبه فى الأمر والقضاء بالمدينة يأمره بكتابة الحديث خوفاً من ذهاب العلم والعلماء.

وكذلك دون الحديث بأمر عمر بن عبد العزيز عالم أهل الحجاز محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، ورواه عنه كثير من العلماء ، ثم شاع جمع الحديث وتدوينه بعد ذلك فى البلاد الإسلامية فجمعه عبد الملك بن جريح بمكة، ومالك بن أنس بالمدينة ، وعبد الرحمن الأوزاعى بالشام ، وغير هؤلاء بالأمصار الأخرى ، وكانوا فى عصر واحد فى القرن الثانى من الهجرة ... ومازال تدوين الحديث متتابعاً حتى ظهر الإمام محمد بن إسماعيل البخارى ، وبرع فى علوم السنة فزاد فى التحرى واجتهد فى انتقاء الصحيح من الحديث ،

ووضع كتابه المشهور بصحيح البخارى ، واقتفى أثره فى ذلك الإمام مسلم بن الحجاج وكان من الآخذين عن البخارى والمستفيدين منه فوضع كتابه المعروف بصحيح مسلم ، ولقب هذان الكتابان بالصحيحين ، وعظم انتفاع الناس بهما ، ثم وضعت بعدهما كتب فى الحديث كثيرة ولكنها لم تبلغ مرتبتهما فى الصحة ، لهذا كان لهما المنزلة الأولى فى نفوس المسلمين إلى اليوم.

تقاويم العالم

كان عمر بن الخطاب هو أول من ابتكر التقويم الهجرى واتخذه كبداية للتاريخ الاسلامى ، وجعل غرة محرم أول السنة الهجرية لأنه أول الأشهر التى حرم فيها القتل ، ومنذ ذلك الحين عرف التاريخ العربى بالتاريخ الهجرى ، وبدأ الاحتفال بهذه المناسبة الدينية فى عهد الدولة الفاطمية.

وكان العرب فى الجاهلية يستعملون التقويم القمرى ، وكان العام عندهم اثنى عشر شهراً قمرياً ، يبدأ الشهر برؤية الهلال وينتهى برؤيته مرة ثانية ... وكانت أسماء الشهور عندهم على ما هى عليه الآن : محرم / صفر / ربيع الأول / ربيع الثانى / جمادى الأولى / جمادى الآخرة / رجب / شعبان / رمضان / شوال / ذو القعدة / ذو الحجة ... ولكنهم لم يكونوا يؤرخون بالسنين ، وإنما كانوا يميزونها بحوادثها المهمة التى تحدث فيها مثل عام الفيل .

ومن الجدير بالذكر أن التقويم هو نظام لقياس الزمن يعتمد على حركات الأجرام السماوية وخاصة الأرض والقمر ... فالأرض تدور حول الشمس فى فترة قدرها ٣٦٥ يوماً و ٥ ساعات و ٤٨ دقيقة و ٤٦ ثانية ، أى ما يقرب من ٣٦٥ $\frac{١}{٤}$ يوم ، وكذلك اتخذت بعض الشعوب حركة القمر حول الأرض لنفس الغرض والشهر القمرى هو الفترة بين الهلال والهلال التالى له .

وقدماء المصريين هم أول من قاس طول السنة الشمسية بدقة بالغة فقسموا السنة إلى أثنى عشر شهراً ، كل منها ثلاثون يوماً ويليها خمسة أيام نسئ ، ثم أضافوا يوماً كاملاً كل أربع سنوات نتيجة لوجود كسر مقداره ربع يوم فى طول السنة.

وعلى نمط التقويم المصرى القديم وضع التقويم القبطى ، كما احتفظ التقويم القبطى بأسماء الشهور التى عرف بها التقويم الفرعونى منذ الأسرة الخامسة والعشرين ، وبدأ هذا التقويم عام ٢٨٤م منذ بداية تولى الامبراطور الرومانى دقلديانوس تخليداً لذكرى شهداء المسيحيين الذين نكل بهم هذا الإمبراطور ... وشهور التقويم القبطى هى : توت / بابه / هاتور / كيهيك / طوبة / أمشير / برمهات / برموده / بشنس / بؤونه / أبيب / مسرى .

أما تقويم الشهور الميلادية المعروفة لنا قد بدأه الرومان ثم قومه يوليوس قيصر عام ٤٥ ق.م ، وفى عام ١٥٨٢ م أعلن جريجورى الثالث عشر بدء العام من أول يناير بدلاً من ٢٥ مارس ، ويطلق على هذا التقويم اسم التقويم الجريجورى.

أما التقويم السريانى فيعود إلى عام ٣١٢م ، وينسب الى السريان وهم أقوام عاشوا فى بعض مناطق الشرق الأوسط من زمن بعيد ، ويعرف هذا التقويم أيضاً بتقويم الإسكندر لأنه وضع فى عهده .

ويشبه التقويم السريانى التقويم الجريجورى وشهوره هى : تشرين أول / تشرين ثان / كانون أول / كانون ثان / شباط / آذار / نيسان / أيار / حزيران / تموز / آب / أيلول الذى يحتوى على ٢٨ يوماً ، وباقى الشهور ٣٠ أو ٣١ يوماً ، وكل من كانون أول وكانون ثان ٣١ يوماً ... ونتيجه لتساوى السنتين الجريجورية والسريانية ، وكذلك توافق عدد أيام الأشهر المتناظرة مع بعضها فإن التحويل من وإلى بعضها يسير جداً.

قدماء المصريين
يقدمون للعالم فن الكاريكاتير

يعتبر قدماء المصريين أول من استخدم فن الكاريكاتير الذى كان بمثابة سخرية ضاحكة من الضعف البشرى على وجه العموم ، ولم يكن موجهاً ضد أشخاص بالذات ، فمن بين ما ترك لنا الفنان المصرى القديم رسماً لصراع بين القطط والفئران ، حيث يركب ملك الفئران عجلة حربية يقودها كلبان ويهجم على حصن تحرسه القطط ، حيث رأى الفنان فى هذا العمل أن الأعداء أو غيرهم من صغار الشأن قد تجرأوا وحاربوا من هم أقوى منهم وأكثر منعة ... كما ترك الفنان المصرى رسماً رائعاً لثعلب يرعى قطعاناً من الماعز بينما يقود ذئب الأوز .

ومضى زمن طويل حتى جاء الإيطاليون فجعلوا من الكاريكاتير لوناً من ألوان التسلية الشعبية الخفيفة ، وتجلت هذه الظاهرة كأقوى ما تكون فى رسوم الفنان " انيبال كارتشى " (١٥٦٠ -١٦٠٩م) والفنان " بييترو جيزى " (١٦٧٤ – ١٧٥٥م) الذى تمتاز رسومه بالخفة وإن لم تكن رفيقة بالشخصيات المرسومة.

وأول رسام استخدم الكاريكاتير كسلاح سياسى هو الإنجليزى " جورج تاونسهند " الذى عرف فيما بعد باسم " المركيز " ... غير أنه جاء بعد ذلك من

تفوق عليه فى فنه وهو " وليم هوجارث " الذى كان رساماً جدياً موهوباً ، وكان يؤمن بأن رسومه تتفوق كثيراً على رسوم الكاريكاتيريين الإيطاليين على الرغم من أنه استعار الكثير من أفكارهم ... وقد أدت أعماله إلى قيام مدرسة إنجليزية للسخرية استخدم أفرادها الكاريكاتير كسلاح مباشر لمهاجمة خصوم الأحزاب السياسية التى ينتسبون إليها ويعملون لحسابها ... وقد اتخذ هؤلاء الفنانون لأنفسهم أسلوباً حراً حياً ، ولكن يمتاز بالحرارة والسخرية ، وكانوا يطبعون رسومهم باللونين الأسود والأبيض ثم يلونونها بأيديهم ويعرضونها فى المكتبات فكانت تؤدى نفس رسالة الرسوم الكاريكاتيرية السياسية التى تنشرها الصحف اليوم ، وكان كثيرون يقبلون على شرائها لتكون موضوعات للتسلية والمناقشة فى الحفلات والمجتمعات ولكن انتشار الصحف الرخيصة الطباعة وازدياد عدد القارئين وضعا حداً لقيام هذه المدرسة الساخرة فى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر.

أما فى مصر فقد كان أول من حاول إدخال الكاريكاتير فى الصحافة المصرية هو يعقوب صنوع " أبو نظارة " الذى أصدر مجلة هزلية اسمها "أبونظارة " وانتقد فيها بقسوة حكومة الخديو اسماعيل ، وكان يدعم نقده برسوم كاريكاتيرية يستعين فيها بفنانين أجانب معظمهم من الإيطاليين ، غير أن الحكومة ضاقت به ذرعاً فنفته إلى الخارج ، حيث اتخذ من باريس مقراً له ، وصار ينشر فيها صحيفته تحت أسماء مستعارة منها " أبو زمارة " و"أبوصفارة" ويرسل نسخاً منها إلى الشخصيات المعروفة فى مصر غير أن الحكومة صادرتها وحرمت تداولها.

ثم بعث فن الكاريكاتير مرة أخرى على يد الصحفى المصرى أحمد حافظ عوض فى مجلة كان يصدرها قبل الحرب العالمية الأولى تحت اسم "خيال الظل" ... وبعد ذلك جاء إلى مصر فنان أسبانى يدعى " جوان سانتيز " قدم

أعماله فى صحيفة الكشكول ، ثم جاء فنان أرمنى يدعى " صـــاروخان " قـدم رسومه الأولى فى مجلة " الجديد " ثم " على رفقى " الذى قدم لوناً من هذا الفن يمزج بين الزخرفة والتعبير ، واستطاع الثلاثة أن ينشئوا مدارس للكاريكـــاتير تخرج فيها عدد كبير من الرسامين المعروفين أمثال رخا وعبد السميع وزهدى وغيرهم.

طريق الحرير

اكتشف الصينيون صناعة الحرير حوالى عام ٣٠٠٠ ق.م ، وعرفوا فى هذا الوقت المبكر فنوناً مبهرة لإتقان صناعته وتطريزه ، وقد أذهلت هذه الصناعة عقول الناس قديماً ، فسعوا لاقتناء الحرير بشتى السبل ، حتى أنهم كانوا يحصلون عليه مقابل وزنه بالأحجار الكريمة ، وقبل خمسة آلاف سنة بدأ الحرير يأخذ طريقه من الصين إلى أرجاء العالم ، ليس الحرير وحده بالطبع، وإنما نقلت معه بضائع كثيرة ، ما لبث انتقالها من الصين وأقاصى آسيا إلى أواسط آسيا وشمال أفريقيا ووسط أوربا أن اتخذ مسارات محددة ، عرفت منذ القدم باسم ... طريق الحرير .

وفى واقع الأمر ، فإن طريق الحرير لم يكن طريقاً واحداً ، وإنما شبكة من الطرق التى تصب فى طريقين كبيرين ، حيث كان يبدأ من المراكز التجارية فى شمال الصين حيث ينقسم إلى فرعين شمالى (فى الصيف) ، وجنوبى (فى الشتاء) ، يمر الفرع الشمالى من منطقة بلغار – كيبتشاك وعبر شرق أوربا وشبه جزيرة القرم وحتى البحر الأسود وبحر مرمرة والبلقان ووصولاً للبندقية ، أما الفرع الجنوبى فيمر من تركستان وخراسان وعبر بلاد ما بين النهرين وكردستان والأناضول ومن ثم فى أنطاكية إلى البحر الأبيض

المتوسط أو عبر بلاد الشام إلى مصر وشمال أفريقيا ... والذى يجمع بين هـذه السبل والمسارات جميعاً ، هو أنها مسالك للقوافل المتجهة من الشرق إلى جهة الغرب ، لتمر فى طريقها ببلدان ما لبثت أن ازدهرت مع ازدهار هذا الطريـق التجارى الأكثر شهرة فى العالم القديم.

وقد انتظمت مسارات طريق الحرير منذ القرن الخامس قبل المـيلاد ، وظلت منتظمة حتى القرن الخامس عشر ، كان طريق الحرير خلالـ ـا معبـراً ثقافياً واجتماعياً ذا أثر عميق فى المناطق التى يمر بها ، ويتفق الباحثون علـى أن أهم فضائل هذا الطريق بمساراته المختلفة أنه كان موصلاً فعالاً للحضارات التى ضمها العالم خلال هذه الفترة من حضارات صينية ، ومغوليـة تترية ، وكورية ، ويابانية ، وهندية ، وفارسية ، ووسط آسيوية ، ومصـرية ، وبحـر متوسطية ، وهناك العديد من الإبداعات العلمية والتقنية المهمة التى اخترعت فى تلك الأزمان وانتقلت وتبادلت بين شعوب البلدان التى مر الطريـق بأرضـها ، ويذكر المؤرخون أن أهم هذه الاختراعات هى البنادق ، والبارود ، والبوصلة ، وورق الطباعة ، وقوانين العلوم الرياضية والطبية وغيرها ، كمـا تـم تبـادل الأدوات الموسيقية بل وأصناف الموسيقى ذاتها بين الشرق والغرب ، ومن أهم صور التبادل الثقافى أن امتزجت أفكار على طول هذا الطريق وحسـب كـل عقيدة ومذهب دينى ، وشيدت المعابد والمساجد والكنائس على طول المحطـات المهمة بهذا الطريق.

غير أن النشاط الاقتصادى ظل دوماً هو العامل الأهم والأظهر أثـراً ، ويكفى لبيان أثره وأهميته أن طريق الحرير أدى إلى تراكم المخزون العـالمى للذهب فى الصين ، حتى أنه بحلول القرن العاشر الميلادى صـارت الصـين وحدها تمتلك من مخزون الذهب قدراً أكبر مما تمتلكه الدول الأوربية مجتمعة .

واستمر ذلك حتى جاء القرن الخامس عشر ليكتب نهاية حياة طريق يعده الباحثون أول طريق عابر للقارات عرفه التاريخ بإجمالى طول يتعدى فى دائرته المغلقة ١٧,٠٠٠ كم. وجاء اندثار الطريق لعدة أسباب فى مقدمتها تطوير التجار المسلمين طريق النقل البحرى من الخليج العربى عبر المحيط الهندى وصولاً إلى شرق آسيا .

كما أدى اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح من قبل الأوربيين الساعين إلى احتكار التجارة والساعين فيما بعد إلى استعمار دول آسيا إلى هجر طريق الحرير اعتماداً على أن قوة الاستعمار الأوربى تكمن فى قوته وأساطيله البحرية أكثر من الانتشار الاستعمارى فى وسط آسيا بمخاطره العديدة .

ويميل الباحثون الشرقيون إلى القول بأن الشرق هو الذى أعطى وأمد الغرب ليس فقط بالبضائع بل بالأفكار والفلسفات والاختراعات العلمية بينما لم يقدم الغرب سوى بعض السلع كالقمح والزيوت والزجاج والصوف ، بل أن بعض الباحثين يرى أن استعمار الشرق من قبل الدول الأوربية سببه جغرافية طريق الحرير وما قدمته من معلومات أغرت الغرب بالعدوان .

حين يتحول المد إلى " تسونامى "

المد والجزر عبارة عن تذبذبات بحرية تحدث عادة كل يوم أو مرتين فى اليوم ، فتتقدم المياه تارة نحو الساحل محدثة ما يسمى بالمد ، وتارة تنحسر عنه كاشفة ما سبق لها أن غطته وهو ما يسمى بالجزر ... وقبل أن تحدث حركة المد والجزر هذه يبدو البحر ساكناً بعض الوقت ، ويقال عندئذ أنه راكد ، والواقع أن التيار يضعف كثيراً قرب نهاية كل حركة مد ، ثم يتزايد بعد ذلك لكى يصل إلى أقصاه فى منتصف فترة الجزر ، والفارق الرأسى بين مستوى سطح البحر فى فترتى المد والجزر يسمى " سعة المد " وهذه السعة تبلغ فى العادة مترين ، وتصل إلى أعلى مستوى لها فى خليج " فوندى " الواقع بين اسكتلندا الجديدة والساحل الكندى حيث تصل أحياناً إلى تسعة عشر متراً .

تنشأ حركة المد والجزر عن الجذب الذى تحدثه الكواكب على الكرة الأرضية بسبب قوة الجاذبية (وبصفة خاصة الشمس والقمر) وهذا الجذب يزداد شدة كلما كبر حجم الكوكب أو زاد اقترابه من الكرة الأرضية ، وعلى ذلك فإن القمر هو العامل الأساسى فى حدوث المد والجزر ، إذ أنه قريب جداً من الأرض بالرغم من أن كتلته أصغر كثيراً من كتلة الشمس ، ولذلك فإن قوة جزر الشمس تبلغ ٤٦% من الجزر القمرى.

ففى أثناء دوران الأرض يجذب القمر مياه الجزء الذى يواجهه من الأرض ... وفى بعض الأحيان تقع الشمس والقمر والأرض على خط مستقيم ، ومن ثم تجذب الشمس المياه مع القمر فيكون المد أعلى من المعتاد ويطلق عليه " المد الربيعى " ويقابله " الجزر المحاقى " الذى ينخفض إلى ما دون المعتاد ... ومن واقع أشكال الشمس والقمر والأرض أمكن حساب أقصى درجة من الجاذبية للقوى المؤثرة على حركة المد والجزر فوجد أنها تحدث مرة كل ألف وستمائة عام تقريباً ، ويرجع تاريخ آخر أعلى مد إلى عام ١٤٣٣م.

وتعتبر حركة " المد والجزر " ذات نفع كبير ... فأثناء فترة الجزر فإن المياه تحمل معها كل ما يمكنها جرفه من البقايا ، كما أنه لا يمكن الحفر بحثاً عن القواقع إلا فى حالة الجزر ، أما فى حالة المد فإن الماء العالى يندفع إلى مصب النهر فتتمكن السفن الكبيرة من الوصول إلى الموانئ التى قد تكون أحياناً بعيدة عن البحر.

وأخيراً فإن سرعة حركتى المد والجزر تحدث تيارات تزداد شدة كلما زادت سرعة المد ، أو كانت الممرات المائية أكثر ضيقاً ، والواقع أنه عندما يأخذ الممر فى الضيق نحو الساحل فإن الماء عند ارتفاع المد لا يجد أمامه مساحة كبيرة من اليابس ليمتد فوقها وبالتالى يزداد ارتفاعه وكذلك سرعته ، ومن الواضح بالطبع أن قوة تيارات المد والجزر تمثل مصدراً هائلاً للطاقة يمكن استغلالها.

وقد يتسبب المد فى كارثة حقيقية بكل معانيها خاصة إذا ما صاحبته هزة أرضية وفى هذه الحالة لا يطلق عليه مد بل يطلق عليه "موجات المد الزلزالية" ومن أمثلة هذه الموجات " تسونامى " ... وأمواج التسونامى هى عبارة عن سلسلة من أمواج البحر السريعة والقوية التى تنتج عن الزلازل أو

ثورات البراكين أو سقوط الشهب من الفضاء الخارجى فى البحار والمحيطات.

ويكثر حدوث ظاهرة أمواج تسونامى فى منطقة المحيط الهادى ، حيث يوجد أكثر من نصف براكين العالم ، وعندما تقع تلك الظاهرة فإن المناطق الساحلية تتعرض دون إنذار مسبق فى بعض الأحيان لموجات بالغة القوة ، ويمكن لتلك الأمواج أن تحمل صخوراً من حوائط صد الأمواج وزن الواحدة منها عشرون طناً ، وأن تقذف بها لمسافة عشرين متراً ، وتختلف أمواج تسونامى عن أمواج البحر العادية حيث أن طاقة الأولى تستمد من حركة الأرض وليس من الرياح ، ويصل طول أمواج تسونامى " أى المسافة بين قمة الموجة وقاعها " إلى مائة متر ، كما أن الزمن بين إحدى موجات تسونامى والموجة التالية لها قد يصل إلى ساعة كاملة.

سور الصين العظيم

يعتبر سور الصين العظيم مشروعاً دفاعياً عسكرياً قديماً بارزاً ونادراً فى التاريخ المعمارى البشرى ، إنه رمز للأمة الصينية ، تبدأ حكايته حين بدأت الممالك المختلفة فى عهد الربيع والخريف (من عام ٧٧٠ ق.م إلى عام ٤٧٦ ق.م) وعهد الممالك المتحاربة (من عام ٤٧٥ ق.م إلى عام ٢٢١ ق.م) بناء أسوار على حدودها من أجل الدفاع عن نفسها ، وأصبحت تلك الأسوار أقدم جزء من سور الصين العظيم ، وفى عام ٢٢١ ق.م وحد الإمبراطور " شى هوانغ دى " الممالك المتحاربة ، وأسس أول دولة موحدة ذات سلطة مركزية فى تاريخ الصين وهى أسرة تشين الملكية ، من أجل تثبيت حدودها وصد عدوان قومية شيونغ نو التى كانت تعيش فى مناطق شمال أسرة تشين الملكية ، ربط شى هوانغ دى الأسوار التى كانت بنتها الممالك المتحاربة مما شكل سور أسرة تشين الملكية الذى بلغ طوله أكثر من ٥٠٠٠ كيلومتر ، وبعد ذلك واصلت الأسر الملكية المتعاقبة فى الصين بناء أسوار على هذا الأساس ، ويبلغ إجمالى طول الأسوار التى بنتها الأسر الملكية المختلفة ٥٠ ألف كيلو متر ، ولم يبق منها حالياً سوى ٦٧٠٠ كيلومتراً فقط .

إن سور الصين العظيم ليس سوراً فقط ، بل هو مشروع دفاعى متكامل

يتكون من الحوائط الدفاعية وأبراج المراقبة والممرات الاستراتيجية وثكنات الجنود وغيرها من المنشآت الدفاعية ، ويسيطر على هذا المشروع الدفاعى نظام قيادى عسكرى متكامل يتكون من مستويات مختلفة .

وتعتبر أبراج الإنذار جزءاً مهماً أيضاً من مكونات الدفاع لسور الصين العظيم ، إنها مرافق لإرسال ونقل معلومات عسكرية ، وفى الحقيقة أن أبراج الإنذار بصفتها أداة لنقل المعلومات كانت موجودة منذ القدم ، وتم الاستفادة منها منذ بداية بناء سور الصين بصورة جيدة بل كان يتم إكمالها تدريجياً لتصبح أفضل أسلوب لإرسال ونقل المعلومات العسكرية فى العهود القديمة ، وكان أسلوب نقل المعلومات هو إطلاق الدخان نهاراً وإشعال النار ليلاً ، إنه أسلوب علمى وسريع لنقل المعلومات إذ يمكن معرفة عدد الأعداء من عدد المَواقع التى انطلق منها الدخان أو أشعلت فيها النار ، وفى عهد أسرة مينغ الملكية أضيفت أصوات المفرقعات فى وقت إطلاق الدخان وإشعال النار لتعزيز فاعلية الإنذار ، الأمر الذى يمكن من إبلاغ المعلومات العسكرية بدقة إلى أماكن بعيدة ومختلفة فى لحظة واحدة ، وفى ظل عدم وجود الهواتف والاتصالات اللاسلكية فى العهود القديمة يمكن القول أن هذا الأسلوب لنقل المعلومات العسكرية كان سريعاً جداً .

يمر سور الصين العظيم بتضاريس جغرافية مختلفة ومعقدة ، حيث يعبر الجبال ويخترق الصحراء ويجتاز المروج ويقطع الأنهار ، لذلك فإن الهياكل المعمارية للسور مختلفة وغريبة أيضاً إذ بنى السور فى المناطق الصحراوية بمواد مكونة من الأحجار المحلية نظراً لشح الصخور والطوب ، أما فى مناطق هضبة التراب الأصفر شمال غربى الصين ، فبنى السور بالتراب المدكوك أو الطوب غير المحروق ، لكنه متين وقوى لا يقل عن متانة السور المبنى بالصخور ، وتوجد قناة لصرف المياه على قمة السور لأجل صرف مياه الأمطار تلقائياً وحماية السور.

أطلانتيس ... " القارة المفقودة "
حقيقة أم أسطورة ...؟!!

أذاع الكهنة المصريون سرها لأول مرة ... وكان الحكيم والسياسى الإغريقى " سولون " أول من نقل قصتها إلى العالم بعد زيارته لمصر عام ٥٧٠ ق.م.

وذكر " سولون " القصة التى عرفها من قدماء المصريون وتتمثل فى "أن الجزيرة كان يحكمها مجلس الآلهة ويدير شئونها أنصاف الآلهة من كهنة معبد الشمس ، وأن سكانها كفروا بالإله الأعظم ، وظنوا أنهم بمعرفتهم أصبحوا آلهة وأنهم يستطيعون السيطرة على مقدرات الكون وغزو العالم ، فأنزل عليهم الإله غضبه وحلت بهم لعنة السماء ، فعندما غربت الشمس قذفت السماء جزيرتهم بحممها والجبال بنيرانها وغمرها البحر بأمواجه ، وتقلصت الأرض كثعبان كبير وانشقت لتبتلع كل ما كان عليها من كائنات ، واختفت الجزيرة الكبيرة بأكملها فى جوف البحر الأزرق العظيم ، وعندما أشرقت الشمس عم السكون كل شئ بعد أن أخفى معالم الأطلنتيس ومكانها واحتفظ لنفسه بسرها واسمها " .

وهناك مخطوطة مصرية مكتوبة على ورق البردى تدعى مخطوطة هاريس طولها ٤٥ متراً تشير إلى المصير الذى لاقته قارة أطلانتس وهى

محفوظة فى المتحف البريطانى ، كذلك مخطوطة مصرية أخرى محفوظة فى متحف الارميتاج فى مدينة سان بطرسبرج فى روسيا تشير إلى إرسال الفرعون بعثة إلى الغرب بحثاً عن أطلانتس .

كما حدد الكهنة المصريون لسولون تاريخ غرق قارة الأطلانتيس بعام ١٠٢٢٠ ق.م ... وهو نفس التاريخ الذى حدده كثير من الباحثين فى معاهد بحوث علوم الأطلنتيس الحديثة .

وتحدث عن هذه القارة المفقودة أيضاً كل من هيرودوت وأفلاطون وسقراط بعد زياراتهم لمصر مؤكدين حقيقتها بعد اطلاعهم على الوثائق المصرية.

ووصف أفلاطون الأطلنتيس بأنها جزيرة كبيرة تقع خلف أعمدة هرقل (جبل طارق) وقدر مساحتها بحوالى ٦٠٠ ألف ميل مربع ، وكانت على شكل قلب ولذلك سميت " قلب السماء " وتتكون من الجزيرة الرئيسية وست جزر أخرى صغيرة ولذلك أطلق عليها أيضاً اسم " أرض الجزر السبع " ، واشتهرت بثرواتها الطبيعية وخاصة الذهب والبرونز والفضة ، واشتهر أهلها بتفوقهم فى الزراعة وفنونها ... وكان جوها معتدلاً حيث تحميها سلسلة من الجبال العالية من العواصف والرياح ، واشتهر أهلها بتربية الأفيال التى كانت تمدهم بالعاج وتفوقوا فى الصباغة والنسيج ، كما اشتهرت القارة بموانيها البحرية وإتقان أهلها فنون الحرب ، وفى عام ١٩٧٧م استطاعت وكالة ناسا التقاط بعض الصور التى تظهر سلسلة قنوات رى متطورة فى بيرو والمكسيك موجودة فى قاع البحر وعلق بعض الباحثين على أن تلك الصور قد جاءت متطابقة لوصف أفلاطون لقارة أطلانتيس .

وطبقاً لوصف قدماء المصريين ... تركزت الدراسات الخاصة بموقع

القارة المفقودة خلف أعمدة هرقل حيث توجد عدة جزر أثبتت بحوث الجيولوجيا الحديثة فى طبقاتها الصخرية وحفرياتها البحرية أنها كانت تحت سطح البحر ولم تظهر إلا فى عصور متقاربة مع اختفاء هذه القارة .

ويشير التفسير العلمى الخاص بقارة الأطلانتيس والذى توصل إليه علماء الجيولوجيا والأعماق والمحيطات إلى التطورات التى حدثت فى التكوين القارى للقشرة الأرضية التى نتج عنها نشأة المحيط الأطلسى ، وهى نظرية الانفصال القارى التى أمكن بها إثبات أن شواطئ أوربا وأفريقيا الغربية وشواطئ أمريكا الشرقية يكمل أحدهما الآخر . وكانا فى الماضى كتلة واحدة وانفصلا عن بعضهما تدريجياً ، ونشأ عن الانفصال سلسلة من الجبال يطلق عليها " الجرف العظيم " تمتد من وسط أفريقيا وتتصل ببعض شعبها بشمال أفريقيا وشاطئ أمريكا الجنوبية ، وينتهى الجرف بقاعدته العريضة التى يطلق عليها " جرف الدرافيل " ، ويقع فى مواجهه جبل طارق وشبه الجزيرة الأسبانية بين خطى عرض ٣٠ ، ٤٥ ويغلب الظن أنها كانت قارة الأطلانتيس.

ثم حدث تقلص فى المحيط قدر تاريخه بين ١٢٥٠٠ و ١٤٠٠٠ سنة نتج عنه هبوط سلسلة الجبال التى تكون منها الجرف ، فتدفق تيار الخليج الدافئ من الجنوب إلى شمال المحيط وتسبب عنه ذوبان الجليد الذى أطلق عليه نهاية العصر الجليدى ... وقد نتج عن ذوبان الجليد طوفان الماء العظيم الذى أغرق كثيراً من الجزر وشواطئ المحيط . وقد كشف العلماء من آثار الحفريات والغابات وبقايا حيوان الماموث التى وجدت مطمورة فى المستنقعات التى تكونت من ذوبان الجليد أن عمرها يرجع إلى ١٢٥٠٠ سنة ... كما تبين من بقايا النباتات البرية والصخور البركانية وطبقات الرماد البركانى التى وجدت فى قاع الجرف والتى ثبت أنها تكونت فوق سطح الأرض أن عمرها يرجع إلى نفس التاريخ ، وهو ما أكد حقيقة أسطورة الاطلنتيس وتاريخ غرقها الذى كان قدماء المصريين أول من حدده فى العالم.

أخفض مكان عن سطح البحر
فى العالم

البحر الميت ... ويسمى أيضاً " بحيرة لوط " نسبة إلى سيدنا لوط عليه السلام الذى عاش وقومه فى هذه البقعة ، ويذكر أن مدينتى سدوم وعمورة ترقدان فى أعماق البحر الميت على إثر زلزال هائل أرسله الله عليهم بسبب ما شاع بينهم من الفساد الأخلاقى ، ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ سورة هود (٨٢) ، وبذلك ابتلعت الأرض المدينتين بأكملهما وطغى الماء مكوناً البحر الميت أخفض بقعة عن سطح البحر فى العالم حيث يقع على عمق ٤١٧ متراً عن سطح البحر .

ومع أن اسمه البحر الميت إلا أنه فى الواقع عبارة عن بحيرة شديدة الملوحة تبلغ عشرة أضعاف ملوحة المحيطات ويعمل تبخر المياه على زيادة نسبة الملوحة مما لا يسمح بأن تعيش فيه أية كائنات بحرية ولذلك سمى بهذا الاسم ، وعندما يلتقى ماء البحر بصخور الشاطئ فإنها تصطبغ بلون الثلج نتيجة للأملاح المتجمعة على صخور الساحل .

تبلغ مساحته الإجمالية حوالى ٩٤٥ كيلومتراً مربعاً ، ومن أهم مصادر مياهه نهر الأردن الذى يصب فيه من الشمال .

فلسفة كونفوشيوس
تحكم الصين عشرين قرناً

كونفوشيوس هو أول فيلسوف صينى ينجح فى إقامة مذهب يتضمن كل التقاليد الصينية عن السلوك الاجتماعى والأخلاقى ، ففلسفته قائمة على القيم الأخلاقية الشخصية وعلى أن تكون هناك حكومة تخدم الشعب تطبيقاً لمثل أخلاقى أعلى ، وقد ظلت هذه الأفكار تتحكم فى سلوك الناس أكثر من ألف عام .

ولد كونفوشيوس سنة ٥٥١ ق.م فى شمال شرقى الصين فى أسرة فقيرة رغم ما امتازت به من عراقة ، مات أبوه وعمره ثلاث سنوات ولم يترك لهم ثروة ينفقون منها مما اضطر أمه للعمل للإنفاق عليه ، وتزوج وهو فى التاسعة عشرة من عمره وأنجب من زوجته ولد ، واختلفت المصادر حول السن الذى هجر فيه بيته وتجول فى جميع أنحاء الصين ، بيد أنهم لم يختلفوا حول حقيقة هجره لإبنه وزوجته ، وقام بتعلم الموسيقى والتى كانت حديثة العهد فى ذلك الوقت وتعلم الشعائر الدينية وقام من خلال تجاربه بوضع منهج أخلاقى بحت يعتمد على الموسيقى والمبادئ الأخلاقية المثلى .

كثيراً ما وصف كونفوشيوس بأنه أحد مؤسسى الديانات ، وهذا تعبير غير دقيق إن لم يكن خاطئاً فمذهبه ليس ديناً ، فهو لا يتحدث عن إله أو

السماوات ، وإنما مذهبه طريقة فى الحياة الخاصة والسلوك الاجتماعى والسلوك السياسى، يقوم على الحب ، حب الناس وحسن معاملتهم والرقة فى الحديث والأدب فى الخطاب ، ونظافة اليد واللسان ، وأيضاً يقوم مذهبه على احترام الأكبر سناً والأكبر مقاماً ، وعلى تقديس الأسرة وعلى طاعة الصغير للكبير وطاعة المرأة لزوجها ، ولكنه فى نفس الوقت يكره الطغيان والاستبداد وهو يؤمن بأن الحكومة إنما أنشئت لخدمة الشعب وليس العكس ، وأن الحاكم يجب أن يكون لديه قيم أخلاقية ومثل عليا .

وكان كونفوشيوس محافظاً فى نظرته إلى الحياة فهو يرى بأن العصر الذهبى للإنسانية كان وراءها – أى كان فى الماضى ، وهو لذلك كان يحن إلى الماضى ويدعو الناس إلى الحياة فيه ... ولكن الحكام فى زمانه لم يكونوا مع رأيه ولذلك لقى بعض المعارضة ، وقد اشتدت هذه المعارضة بعد وفاته ببضع مئات من السنين ، فقد تولى حكم الصين ملوك أحرقوا كتبه وحرموا تعاليمه ... ورأوا فيها نكسة مستمرة ، لأن الشعوب يجب أن تنظر أمامها ، بينما هو يدعو الناس إلى النظر إلى الوراء ... ولكن ما لبثت تعاليم كونفوشيوس أن عادت أقوى مما كانت وانتشر تلاميذه وكهنته فى كل مكان ... واستمرت فلسفته كونفوشيوس تتحكم فى الحياة الصينية قرابة عشرين قرناً – أى من القرن الأول قبل الميلاد حتى نهاية القرن التاسع عشر بعد الميلاد – ، أما إيمان أهل الصين بفلسفة كونفوشيوس فيعود إلى سببين أولاً أنه كان صادقاً مخلصاً ، وثانياً أنه شخص معقول ومعتدل وعملى ، وهذا يتفق تماماً مع المزاج الصينى . بل هذا هو السبب الأكبر فى انتشار فلسفته فى الصين ، فلم يطلب إليهم أن يغيروا حياتهم أو يثوروا عليها ، وإنما أكد لهم كل ما يؤمنون به فوجدوا أنفسهم فى تعاليمه ، ولذلك ظلت فلسفة كونفوشيوس صينية ، ولم تتجاوزها إلا إلى اليابان وكوريا ... ولكن هذه الفلسفة قد انحسرت تماماً عن الصين بعد أن تحولت إلى

الشيوعية واتجهت الصين إلى المستقبل وانتزعت نفسها من هذه الفلسفة وذلك بالبعد عن الماضى ومسالمة الناس فى الداخل والخارج ، ولكن تظل فلسفة كونفوشيوس التى حققت سلاماً وأمناً داخلياً أكثر من عشرين قرناً للصين .

سقراط ... نهاية درامية

إن معلوماتنا عن سقراط قليلة ، وما نعرفه عن أفكاره ومنهجه وخاتمة حياته الشهيرة والمثيرة ، جاءتنا عن طريق تلاميذه وبخاصة أفلاطون ، والأمر المؤكد أنه كان من الشخصيات المعروفة فى أثينا عاش بين عامى (٤٧٠ – ٣٩٩ ق.م) ... كان يرتدى الملابس الرثة ويسير حافى القدمين ، لا يعبأ بالحر أو البرد أو الجوع أو العطش ، ولكنه فى الوقت ذاته كان رجلاً واثقاً من نفسه غاية الثقة ، ولا يعنيه النجاح الدنيوى كغيره من الناس.

كان يؤمن بأن البحث عن المعرفة أمر على أكبر قدر من الأهمية ، وأن الإنسان لا يذنب عن وعى وإدراك ، وعلى ذلك فلابد من المعرفة كى يصبح الناس جميعاً فضلاء تماماً ، وللوصول إلى المعرفة كان يتبع طريقة المنطق الجدلى عن طريق السؤال والجواب ، فكان يتظاهر بالجهل ويستفسر من محدثه بأسئلة تثير الشك ، وتكشف عما فى أقوال محدثه من نواحى التناقض ويستمر فى حديثه يستخلص الحقيقة مستعيناً بالعقل ... لقد دار فكر سقراط حول طبيعة الفضيلة ومكارم الأخلاق ودفاعه عن العقل باعتباره المثل الأعلى ، وقد سعى إلى الاستدلال القياسى للحصول على البراهين اليقينية ، والحقيقة أنه بدأ من نقطة البدء فى العلم وذلك باستخدام الأدلة الاستقرائية والتعريف التام ، ودعانا

إلى أن نفكر أسلم تفكير ممكن بحيث نجعل أفعالنا مطابقة لأفكارنا ولتحقيق ذلك لابد من تعقب معارفنا إلى النقط التى منها بدأت وإلى استعراض الآراء على أنها فروض ممكنة لنكشف عما يترتب عليها عن نتائج وعما بينها من روابط ... كذلك فإننا يجب أن نعلن عن أفكارنا إعلاناً صريحاً على الملأ ، وأن ندعو الآخرين إلى نقد أفكارنا ، وأن نكون على استعداد لأن نعاود النظر فى تلك الأفكار.

وقد حظيت نهاية حياة سقراط بإثارة كبيرة لما تخللها من أحداث ... ذلك أن عام ٤٠٤ ق.م كان ختام هزيمة أثينا فى الحرب التى خاضتها ضد أسبرطة ، والتى تطوع فيها سقراط كمحارب وطنى ، وكان السبب فى هذه الهزيمة الخيانة من ناحية ، وإلى جانب النشاط الذى كانت تقوم به من ناحية أخرى عصابة من الإرهابيين عرفوا باسم " الثلاثين طاغية " ، وهم الذين ارتقوا إلى السلطة فى أثينا والحرب توشك أن تصل إلى نهايتها ، وبعض هؤلاء بالإضافة إلى الكبيادس الذى لعب أهم دور فى الخيانة كانوا فى وقت ما على صلة بسقراط بالرغم من أنه لم يكن مسئولاً عن جرائمهم على الإطلاق .

وفى عام ٣٩٩ ق.م قدمت الحكومة الديموقراطية التى استعادت السلطة سقراط إلى المحاكمة بتهمة كفره بالآلهة وإفساده الشباب ، وتمت المحاكمة علناً أمام محكمة ضخمة تضم (٥٠١) من المحلفين ، ولم يجد سقراط صعوبة فى الدفاع عن نفسه ضد الجزء الأول من التهمة ، ولا شك أنه كان سيبرأ من التهمتين إذا ما كانت لديه الرغبة فى التنصل من رسالته ، وبدلاً من أن يفعل ذلك أعلن أنه لا يستحق أى عقاب ، وأنه مصلح عام يدعو إلى الصلاح ، ولا يطمع فى أى جزاء مادى ، ولكن أغلب المحلفين اعتبروه مذنباً ، وكان القانون يخول له حق اختيار العقوبة التى يرتضيها ، وبإلحاح من تلاميذه عرض أن يدفع غرامة مالية ، ولكن هذا أحنق خصومه فأصدرت أغلبية المحكمة قراراً

بإعدامه ودبر له تلاميذه وسيلة للفرار لكنه رفض انتهاز الفرصة قائلاً إنه لو فعل ذلك فإنما يتنكر لمبادئه التى قادت حياته كلها ... وأخيراً أعدم سقراط بأن شرب جرعة من الشوكران وهى الطريقة التقليدية التى كانت متبعة فى أثينا لتنفيذ حكم الإعدام.

وقدم أفلاطون فى كتابه " دفاع سقراط " نصوصاً حرفية من خطاب سقراط الذى ألقاه أثناء محاكمته ، كما أنه بالصفحات الأخيرة من " محاورة فيدو" وصف حى للمشهد الأخير فى حياته ، وتعتبر هذه النصوص من أعظم وأسمى أعمال الأدب الإغريقى.